الرسالة

(٢ تيموثاوس ٣: ١٠-١٥)

يا ولدي تيموثاوس إنَّك قد استَقرَيْتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في أنطاكيةَ وإيقونيةَ ولِسترة. وأيَّةَ اضطهاداتٍ احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعها* وجميعُ الذينَ يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيحِ يسوعَ يُضطَهَدون* أمَّا الأشرارُ والمغوونَ من الناسِ فيزدادونَ شرًّا مُضِلّينَ ومُضَلّين* فاستمرَّ أنت على ما تعلَّمتَه وأيقنتَ به عالِماً مِمَّن تعلَّمت* وأنَّك منذ الطفوليَّةِ تعرِفُ الكتبَ المقدَّسةَ القادِرةَ أن تُصيِّرَك حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

البار
سرجيوس العجائبي
حامي روسيا

تُعَيّد كنيستنا المُقَدَّسة في الخامس والعشرين من شهر أيلول للبار سرجيوس (رادونيج) العجائبي، مؤسّس دير لافرا الثالوث القدوس في مدينة زاكورسك من أعمال موسكو، والذي صار منذ تأسيسه وحتى زماننا الحاضر، مروراً بأزمنة الاضطهاد المتنوّعة، منارة لا للرهبانية وحسب بل وللحياة الروحية عموماً. ولد البار سنة ١٣١٤ في ناحية تبعد حالياً حوالى الثلاثمئة كيلومتر عن موسكو، وهو الثاني بين ثلاثة أبناء لأبوين بارَّين أمام الله، ورَفيعَي المقام أمام الناس. سمّياه برثلماوس، وسمّي سرجيوس يوم صُيِّر راهباً بالإسكيم الكبير، سنة ١٣٣٧ يوم عيد الشهيدين سرجيوس وباخوس. في وجدان أمّته هو «المحامي عن روسيا»، ولعلّه القدّيس الأحبّ إلى قلب الشعب الروسي.

يروي كاتب سيرته إبيفانيوس، الذي كان تلميذه وقد تقصّى أخباره بدقة، أن القديس سرجيوس كان فيه شيء لله منذ صغره، بل ومنذ كان بعد في رحم والدته التي روت مراراً في محيطها أنّ أكثر وقت كانت تشعر فيه بالجنين في رحمها كان خلال القداس الإلهي، وبالأخص عندما يهتف الكاهن «القدسات للقديسين». بعد ولادته، صار والداه يعتبران نفسيهما مؤتَمَنَين على إناء مختار لله، وصارا يعيشان على هذا الأساس في أدق تفاصيل حياتهما، فربّياه على هذا الأساس.

العدد ٣٩ / ٢٠١٧

الأحد ٢٤ أيلول

تذكار أولى الشهيدات والمعادلة الرسل

تقلا والبار سلوان الآثوسي

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الخامس

لمّا بلغ الصبي السابعة من عمره، بانت عليه علامات غلاظة الذهن وبطء الفهم واستصعاب التركيز. عانى الصبي من هذا كثيراً وكان دائم الحزن، إذ كان معلّموه في المدرسة يعاقبونه، ورفاقه يهزأون به، وفي البيت كان والداه يوبّخانه. حاول أن يجهد ما في وسعه، لكنّه لم يتقدّم، وصار كل يوم يزداد حزناً على حزن. ذات يوم، وهو خارج إلى الحقول، رأى راهباً جاثياً تحت شجرة إلى جانب الطريق يصلّي. دنا منه وسجد له، على عادة تلك الأيام، وبقي ساجداً حتى انتهى الراهب من صلاته. نظر الراهب

إلى الصبي وللحال شعر أن فيه شيئًا لله فقَرَّبَه إليه وباركه وسأله عن سبب حزنه، وعما يبحث. أخبره الصبي بمعاناته من غلاظة ذهنه، وكم يشتهي أن يقرأ الكتاب المُقَدَّس وسيَر القديسين، وسأله الصلاة من أجله. رفع الراهب ذراعيه إلى السماء حالاً وصلّى، ثم تناول من كيسه قطعة قربان أعطاها للصبي وقال له ألا يحزن، فالله سوف يعطيه ما يشتهي بل وأكثر بكثير. عشية اليوم نفسه قرأ الصبي مزامير صلاة الساعات، في كنيسة البيت، قراءة لا تلعثم فيها ولا خطأ.

منذ تلك الحادثة راح الصبي ينمو في نعمة الله وصارت تتنامى فيه رغبة الحياة الرهبانية. وبقي صابراً على رغبته في أن يصير راهباً إذ كان المعيل لوالديه الشيخين، إلى أن رقدا بالربّ فصار حراً. ذهب إذ ذاك إلى شقيقه الأكبر الذي كان قد ترَمَّل بلا أولاد وأقنعه بأن يسلكا معاً في الحياة النسكية. إستقرّ الأخوان بدايةً في مكان منعزل داخل الغابات وشرعا ببناء منسك وكنيسة، لكن الأخ الأكبر لم يحتمل قسوة العيش هناك فغادر إلى دير في موسكو، وبقي قدّيسنا في نسكه وحيداً. كان يجاهد بقوة ويعدّ نفسَه لاقتبال الإسكيم الملائكي، إلى أن هداه الله إلى شيخ قديس رئيس دير، ألبسه الإسكيم وزوّده بالتوجيهات اللازمة وباركه ورحل.

أمضى قديسنا بضع سنوات في الجهاد البطولي مقاوماً بالصلاة والاتضاع وخوف الله شتى أنواع التجارب والضيقات، وهجمات الشرير المتنوّعة، ومُركّزاً ذاته على حلاوة العشرة الإلهية. فصار يوماً بعد يوم ينمو في تخطّي الذات، وفي الصلاة المستمرة والتأمل في الإلهيات. إذ ذاك شاء الله أن يجتذب إلى سرجيوس مجاهدين جُدُدًا، فصار عنده، في فترة وجيزة، اثنا عشر تلميذاً حضنهم كأخ أكبر في البداية، إلى أن صار رئيساً عليهم وكاهناً بعد أقل من سنتين. كان يسهر على نموّهم في الله سهر الأب المربّي والأم الحنون في آن، وأكثر ما كان يشدد عليه هو تربيتهم على تجاوز الذات كليّاً، للاستسلام إلى نعمة الله ورحماته كليّاً. كلما وقع أحدهم في ضعف أو تجربة، كان هو معه يشدده ويقوّيه حتى الخروج منها ظافراً. لم يلجأ إلى التوبيخ والعقاب إلا متى رأى عند أحد أبنائه عناداً وقسوة وتمرّدًا. «عند المساء يبيت البُكاء، وفي الصباح تُرنّم. وأنا قلت في طمأنينتي: لا أتزعزع إلى الأبد»، هذه الآية من سفر المزامير (٢٩: ٥) كانت دومًا على لسانه، بل ولعلّها كانت القاعدة التي ربّى عليها أبناءه.

لم يزد عدد التلاميذ في السنوات الأولى إلا قليلاً، بيد أنه ذات ليلة وبينما كان يصلّي عاين في رؤيا نوراً سماوياً وأسراباً من الطيور اللامعة تحوم فوق الدير، وسمع صوتاً يقول «يا سرجيوس انظر، على عدد هذه الطيور سيكون تلاميذك». سنة ١٣٥٤ بدأ القديس بتغيير نظام الحياة الرهبانية عنده إلى نظام الحياة المشتركة. بعض رهبانه تململوا وصارت الجماعة مهددة بالانقسام، فآثر قديسنا الانصراف الوقتيّ عن الجماعة، بدلاً من فرض النظام الجديد فرضاً. بعد ذلك ظهر أن يد الله كانت في هذه المُجريات أيضاً، لأن سرجيوس وجد نفسه يؤسس الدير تلو الآخر، إلى أن بلغ عدد الأديار الأربعين. ذاع صيت سرجيوس في كل مكان حتى أن بطريرك موسكو آنذاك ألكسي عرض عليه خلافته سنة ١٣٧٨ لكن سرجيوس امتنع. حتى أمراء المقاطعات الروسية كانوا يأتونه مسترشدين وقد أدّى دوراً

الإنجيل

(لوقا ٥: ١–١١)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ واقفٌ عند بحيرة جَنّيسارَتْ رأى سفينتين واقفتين عند شاطئِ البحيرة وقد انحدر منهما الصيادون يغسلون الشباك* فدخل إحدى السفينتين وكانت لسمعان وسأله أن يتباعد قليلاً عن البرِّ وجلس يعلّم الجموعَ من السفينة* ولمَّا فرغَ من الكلامِ قال لسمعانَ تقدَّم إلى العُمقِ وألقوا شباككم للصيد* فأجاب سمعان وقال له يا معلّم إنَّا قد تعبنا الليلَ كلَّه ولم نُصِبْ شيئاً ولكن بكلمتِك أُلقي الشبكةَ* فلمَّا فعلوا ذلك احتازوا من السمك شيئاً كثيراً حتى تخرّقت شبكتُهم* فأشاروا إلى شركائهم في السفينة الأخرى أن يأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا السفينتين حتى كادتا تغرقان* فلمَّا رأى ذلك سمعان بطرس خرَّ عند

رُكبتَي يسوع قائلًا أخرج عنّي يا ربّ فإنّي رجلٌ خاطئٌ* لأنَّ الإندهال اعتراهُ هو وكلَّ مَن معه لصيدِ السمك الذي أصابوه* وكذلك يعقوبُ ويوحنَّا ابنا زبدى اللذان كانا رفيقين لسمعان. فقال يسوع لسمعان لا تَخَفْ فإنَّك من الآن تكونُ صائداً للناس* فلمَّا بلغوا بالسفينتين إلى البرِّ تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوه.

تأمل

«استقريت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري».

قال لي الراعي: كن صبوراً وفطناً فتنتصر على جميع الرذائل وتحقق كل برّ، لأنك إذا كنت صبوراً فإن الروح القدس الذي يسكن فيك سيكون صافياً إذ لن يظلّله أي روح شرير آخر. وإذ يجد متّسعاً حُرًّا سيكون مسروراً ويفرح للإناء الذي يسكن فيه وسيخدم الله بفرح عظيم إذ يرى فيه الامتلاء.

أما إذا حدثت ثورة غضب، ففي الحال يشعر الروح القدس المليء رقة ولطفاً بضيق المجال كبيراً في ترسيخ السلام بينهم وحل الخصومات. بارك أيضاً الدوق الأكبر ديميتري إذ كان خارجاً لمحاربة التتار، سنة ١٣٨٠، وتنبّأ له بالانتصار وهكذا كان إذ نجح الدوق الكبير في دحر التتار عن كلّ الأراضي التي كانوا يحتلّونها ويستعبدون شعبها.

أنعم الله عليه برؤى عديدة، نذكر منها معاينته مراراً الملائكة يخدمون معه القداس الإلهي، ومعاينته الكلية القداسة والدة الإله آتية إليه إذ كان يرتّل لها خدمة المديح، ومعها الرسولان بطرس ويوحنا، وتعزيتها له بأن صلواته مقبولة لدى الرب. أيضاً أجرى الله على يديه عجائب كثيرة، كشفاء المَرضى وطرد الشياطين وحتى إقامة الموتى، ناهيك عن بصيرة مكّنته من قراءة خفايا النفوس كما في كتاب مفتوح. كشف له الله ساعة رقاده قبل ستة أشهر، فعمل على إعداد نفسه وتلاميذه وزوّدهم بتوجيهاته وبركاته الأبوية، ورقد بالرب يوم الخامس والعشرين من شهر أيلول، سنة ١٣٩٢.

الرسوليّة وممارسات اليوم

تعيّد كنيستنا المقدّسة في الرابع والعشرين من شهر أيلول للقدّيسة الشهيدة تقلا تلميذة بولس الرسول والمعادلة الرسل. هناك عدّة قدّيسين يحملون لقب «معادل الرسل» في كنيستنا، منهم القديسة مريم المجدليّة، القدّيسان الملكان قسطنطين وهيلانة، القديسة فوتيني السامريّة، القدّيس باتريكيوس، القدّيسان كيرللس وميثوديوس، وغيرهم الكثير.

كلّ هؤلاء أصبحوا معادلين للرسل لأنّهم نقلوا رسالة السلام والفرح والمحبّة، رسالة القيامة، لجميع من التقوهم وبشّروهم. ليست الرسوليّة أو البشارة كثرة كلام ولا ثرثرة فارغة لجذب الإنتباه، لكنّها حياة يعيشها الرسول بفرح، وهذا الفرح يجذب الآخر الذي يتساءل عن سبب ذلك الفرح غير الموصوف، فيعلم أنّه فرح القيامة والغلبة على الموت الذي يعيشه كلّ من يكون قريبًا من المسيح.

للأسف، في يومنا هذا أصبحنا نبحث عن هذا الفرح خارج المسيح. نتحجّج بأنّنا تعثّرنا من تصرّف معيّن لكاهنٍ أو لإنسانٍ عاديّ داخل الكنيسة فيكون هذا سببًا مباشرًا نستخدمه لنرحل عن المسيح الذي كان «يتعبنا» بشكل من الأشكال لأنّه «متطلّب». كيف ذلك؟ إنّه يطلب منّا أن نحبّ الآخر حبّنا لأنفسنا، والأكثر من هذا يريدنا أن نحبّ أعداءنا... بينما في أماكن أُخرى يقولون لنا أن نضرب من يضربنا ونهين من يهيننا حتّى نشعر بالرّضى عن أنفسنا. أصبحت مسيحيّتنا تُشعرنا بأنّنا أناس ضعفاء، بينما معتقدات أُخرى تعلّمنا أن نتأمّل ونخرج خارج الواقع حتّى ننسى همومنا، ولو قليلاً... يجعلوننا نعيش في الخيال في حين أنّ المسيح هو الواقع الجميل، وهو الذي قال: «تعالوا إليّ يا جميع المُتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨).

لو كنّا مؤمنين حقيقيّين بالمسيح لَما كان أيّ شخص في الدنيا يستطيع أن يكون حجر عثرة أمامنا كائنًا من يكون، ولَما أسرعنا وراء آلهة غريبة كما فعل الشعب الإسرائيليّ عندما صعد موسى إلى الجبل ليأتي بالوصايا الإلهيّة، ولَما أصبحنا كالفريسيّين الذين يطالبون المسيح بآيةٍ فلا يُعطَون سوى آية يونان النبيّ: «حينئذٍ أجاب قومٌ من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلّم، نريد أنْ نرى منك آية فأجاب وقال لهم: جيل شرّير

وفاسق يطلب آية، ولا تُعطَى له آية إلاّ آية يونان النّبيّ» (مت ١٢: ٣٨-٣٩)، أي لن نُعطى سوى معجزة القيامة وفرحها. فإن أردنا أن نؤمن فذلك حسنٌ وإلاّ يكون إيماننا كلّه باطلاً.

تجذبنا عادات وتقاليد غريبة عن مسيحنا فنلتزم بها، مع أنّ غالبيّتها تكلّفنا ثروة مقابل ممارستها، على عكس المسيحيّة المجانيّة التي لا نلتزم بها، ربّما لأنّها مجانيّة، فتكون بلا قيمة في نظرنا، أو لأنّه لا يمكننا أن نقدّم رشوةً للمسيح مثل حنانيا وسفيرة (أع ٥) أو أن نشتري فرحه مثل سيمون الساحر (أع ٨: ٩-٢٤). يقنعوننا بأنّنا سوف نصبح رسل سلام إذا مارسنا عاداتهم وتقاليدهم وممارساتهم، فننسى أنّ إلهنا هو «إله قويّ مسلَّط رئيس السلام» (على حسب ما نرتّل في صلاة النوم الكبرى خلال الصوم الأربعينيّ المقدّس).

لا يمكن للكنيسة أن تغضّ الطرف عمّا يواجه مسيحيّي اليوم من حروب شيطانيّة تحاول إبعادهم عن المسيح. تتّخذ هذه الحروب شتّى الأشكال: رياضة، فنّ، إجتماعيّات... على مثال اليوغا التي استضافت مدينتنا بيروت مهرجانًا لها الأسبوع الماضي فهرع كلّ محبٍّ لتجربة أمر جديد ليشترك فيه وبينهم «مؤمنون أرثوذكسيّون». حجّة أولئك أنّ اليوغا تُشعرهم بالسلام الداخليّ وتجعلهم متصالحين مع أنفسهم ومع الآخر. أليس هذا ما علّمنا إيّاه ربُّنا؟ لماذا نقبل هذا الكلام من الغريب ونرفضه من مسيحنا؟ هل نسينا أنّ ربّنا وقدّيسيه حذّرونا من الشيطان القنّاص الذي يستطيع حتّى أن يحضر إلينا على هيئة ملاك نورانيّ فقط ليقتنصنا ويبعدنا عن الله؟

لماذا نرفض ترداد إسم الربّ يسوع بواسطة المسبحة ونركض وراء ممارسات شاذّة عن المسيحيّة تطلب منّا ترداد أسماء آلهة وثنيّة؟ (مثلًا: الأوم «OM» التي يردّدها ممارسو اليوغا ترمز إلى الثالوث الهندوسيّ: براهما الإله الخالق وفيشنو الإله الحامي وشيفا الإله المدمّر).

ما ينقصنا لنكون رسلاً حقيقيّين، إلى جانب الإيمان الحقيقيّ والكامل، هو أن نثق بإلهنا الحقيقيّ والكامل، وأن نقرأ ونبحث عن كلّ ما يواجهنا من أشكال ممارسات غريبة عن إيماننا المسيحيّ. علينا أن نعي معنى الإنفتاح الحقيقيّ الذي هو تقبّل الآخر على أنّه صورة الله ومثاله وألاّ نقف عند خطاياه بل أن نحبّه، ومحبّتنا له لا تجبرنا على اتّباع طرقه غير السليمة أحيانًا لكي نبرهن له أنّنا نحبّه، لأنّ تخلّينا عن طريقنا القويم يُظهر له كم أنّ إيماننا هشّ وقابل للكسر في أيّ لحظة، فنضعف نحن وتاليًا نُضعف صورة المسيح التي فينا، ونكون حينئذٍ حجر عثرة.

لقد قال بولس الرسول: «كلّ الأشياء تحلّ لي، لكن ليس كلّ الأشياء توافق. كلّ الأشياء تحلّ لي، لكن لا يتسلّط عليّ شيء» (١كو ٦: ١٢)، فَلنتّبع هذه النصيحة الرسوليّة في كلّ الأمور التي تواجهنا ولْنختبرها ولْنكن كالنّحلة التي تنتقي الأزهار الجميلة ذات الرّحيق الشهيّ. ولكي نكون نحن المسيحيّين، رسلًا حقيقيّين، علينا أن نغتذي من رحيق المسيح لننقله للآخرين عسلاً شهيًّا مفرحًا للذّوق ومداويًا للأمراض.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

وتلوّثه فيحاول أن يغادر هذا المكان. انه يختنق بوجود الروح الشرير فلا يعود يجد المجال اللازم لخدمة الرب كما يريد بعد أن تلوّث بفعل الغضب. لأن الرب يسكن في الرجل الصبور، والشيطان يقطن في الغضب. وإذا أقام الروحان معاً فهذه نكبة كبرى للرجل الذي يسكنان فيه.

إذا أنت أخذت نقطة صغيرة من العلقم وسكبتها في إناء عسل أفلا يفسد العسل كله وتضيع كمية من العسل بسبب قليل من العلقم، أفقده عذوبته فلم يعد يروق لصاحبه إذ أصبح مرًّا وفقد فائدته؟ لكن إذا لم نلقِ العلقم في العسل لظلّ عذباً واستطاع السيد أن يستعمله.

فأنت ترى إذاً أنّ الصبر يفوق العسل حلاوة، وانه مفيد للإنسان ويسكن الرب فيه، بينما الغضب مرّ ولا يصلح للإستعمال. فإذا مُزج الغضب بالصبر يتلوّث ولا يستمع الله إلى صلاة الإنسان.